مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ISSN : 2353-0472
المجلد5 ، العدد12، (ديسمبر2017) EISSN : 2600-6405

علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الزيانية بتلمسان -أبو حمو موسى الثاني نموذجا-

الأستاذ: عمارية لاغة
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

الملخص :

شهدت بلاد المغرب الأوسط أو الجزائر حاليا خلال فترة حكم بني عبد الواد الزيانيين نشاطا علميا وفكريا فقد تحولت الى مركز إشعاع ثقافي في جميع العالم الإسلامي ومن أهم العوامل التي ساعدت على هذا النهضة العلمية هو اهتمام ملوك بني زيان بالعلم وأهله من العلماء والشيوخ فقد أعطوهم أهمية ومكانة كبيرة ويتجلى هذا في علاقة أبو حمو موسى الثاني الزياني بالشيخ الشريف التلمساني،

فبعد استعادته لعرش تلمسان من المرنين استقدم ا أبو حمو موسى التأني الشيخ الشريف التلمساني وقربه من عرشه وكان يستشيره دائما كما وزوجه ابنته وأكرمه أكثر حيث من ذلك بني له مدرسة خاصة به واكل له إدارتها وشؤون التعليم فيها .وبعد موته رثاه كثيرا الملك الزياني.

Résume :

LE moyen Orient ou l'Algérie actuellement à connu pendant la dynastie des Beni Abd elwad les Zianided une activité scientifique et intectuelle puisqu' il est devenu le centre d'un rayonnement culturel et parmi les facturel et parmi les facteurs essentiels de cette renaissance : la grand intérêt qui a été donné par les rois Zianides aux savant et aux hommes instruits qui se représente dans la bonne relation du roi Abou hamou Moussa il avec Cherit le Tlemcenien après la récupération de la ville de Tlemcen qui était sous les mains des Merinides Abou Hamou Moussa il a donné au Chérit le Tlemcenien un haut statut qui est devenu trop proche de lui au poit qu'il lui consiltait et lui maria sa fille ,Il lui donne tellement une grand importance qu'il lui batissait une école spéciale pour enseigner et la diriger ,Après son décès le roi zianide lui déplorait longtement,

مقدمة:

عرفت بلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي لها بكثرة علمائها وشيوخها, اشتهرت تلمسان بين الحواضر العلمية والثقافية في بلاد المغرب العربي وكافة العالم الإسلامي فقد كثرت المؤسسات العلمية في تلمسان على اختلافها من مدارس,كتاتيب,زوايا وغيرها.

شهدت تلمسان نهضة علمية وفكرية بشكل خاص وكبير في عهد دولة الزيانيين وهدا راجع لاجتماع عدة عوامل وظروف ,حيث كثرت التأليف والمؤلفات العلمية,واشتهرت العديد من الأسر والبيوت العلمية في تلمسان الزيانية , من هذه البيوت التلمسانية التي عرفت بعلمها نجد بيت الشريف التلمساني ومن اعم علماء بيت الشريف نجد أبو عبد الله التلمساني.

وفي بحثي هذا المسومة:"علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الزيانية-ابوحو موسى الثاني-"

والإشكالية التي تطرح نفسها كيف كانت علاقة الشيخ أبو عبد الله التلمساني بالحكام الزيانيين ؟

وبما تميزت العلاقة بين العالم الشيخ وبين الحاكم السياسي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سنتطرق الى النقاط التالية:

-أولا سنعرف بالشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني .

-وثانيا سنعرف السلطة الزيانية التي عايشها الشريف التلمساني وهو الحاكم ابو حمو موسى الثاني.

-وثالثا نتناول العلاقة بين الشريف التلمساني الزيانيين من خلا ممثلهم السلطان ابو حمو موسى الثاني هل كانت علاقة ود ومحبة أم علاقة سيئة .

لنختم هذه المداخلة بخاتمة نلخص أهم الاستنتاجات التي تستخلصها من هذا البحث.

واعتمدت في إعداد هذه البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي أرخت لتاريخ الدولة الزيانية وللشيخ الشريف التلمساني خاصة كتابه مفتاح الوصول مراجع أخرى.

1-التعريف بالشريف التلمساني:

نسبه: الشريف التلمساني هو أبو عبد الله بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ,وهكذا وجد نسبه

الشريف بخط ولده عبد الله الشريف (1) و يلقب أيضا بالعلوي التلمساني ,فالعلوي نسبة للعلويين و التلمساني نسبة لمدينة تلمسان(2).

مولده ونشأته: اختلف في انه ولد في تاريخ مولد الشيخ الشريف التلمساني ولكن الراجح انه ولد عام عشر حسب ماذكره ابن خلدون حيث يقول:"واخبرني –رحمه الله- أي الإمام لشريف التلمساني أن مولده سنة عشر"(3) وهو ما صححه الونشريسي.

وأما عن نشأته فنعتمد على ما ذكره الأستاذ محمد علي فركوس بحكم اطلاعه على جوانب عدة من حياة الشيخ الشريف حيث يقول:"ولد أبو عبد الله وسط آسرة عربية أصيلة شريفة حيث أن مرد نسبه الى الحسن بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما- واتسمت هذه العائلة بالعلم والوجاهة والنباهة وحسن التدين وفي التربية والتعليم ...نال أبو عبد الله حظه من التربية والتعليم في سن مبكرة ساعد ذلك على تنمية مواهبه الفكرية وقدراته الذهنية الأمر الذي مهد أمامه أفاقا فسيحة تبشر بغد مشرق بالعلم والمعرفة..."(4).

تعليمه: لقد تتلمذ الشيخ الشريف التلمساني على د مجموعة من شيوخ تلمسان نذكر منهم:

ابنا الإمام البركشي: وهما الخوان عبد الرحمن أبو زيد وعيسى أبو موسى ابنا محمد ابنا عبد الله التلمسانيان العالمان فاشلا المغرب في وقتهما ,أخذا العلم عن ابن القطان المرجاني وعلاء الدين القونوي صاحب التلخيص وسمعا البخاري عن الحجار ,من تأليف أبي زيد شرح عظيم على مختصر ابن الحاجب توفي ابو زيد في سنة 741ه عيسى أبو موسى توفي عام 750ه(5).

الإمام أبو عبد الله الأبلي: هو محمد بن إبراهيم بن احمد العبد ري التلمساني هو أندلسي الأصل من أهل ابلة رحل أخر المائة السابعة للمشرق فدخل مصر والشام حتى العراق, وقفل الى المغرب فأقام بتلمسان واخذ العلم عن شيوخها توفي سنة 757ه بفاس بالمغرب الأقصى(6).

ابن عبد السلام : هو محمد بن عبد الله التونسي الهوا ري قاضي الجماعة نزل تلمسان في الرهبان لا تأخذه في الحق لومة لائم صنف كتبا عديدة منها: شرحه لمختصر عمر بن عثمان بن عمر بن الحاجب الفقهي ,توفي هذا العلامة بمرض الطاعون سنة 748ه(7).

وأما عن تلاميذ الشريف التلمساني فقد ذاع صيته وانتشرت شهرته في أصقاع العالم الإسلامي فوفدت أعداد من طلبة العلم من مختلف أنحاء البلاد الإسلامية ونذكر منهم:

-ابنا الشريف التلمساني :هما الأخوان أبو محمد عبد الله وأبو يحي عبد الرحمن التلمسانيان تعلما على يد والدهما الشيخ الشريف التلمساني تصدرا للتدريس وجلسا للإقراء بالمدرسة اليعقوبية بعد وفاة والدهما ,أخذا العلم عن غير واحد من المشايخ منهما أبو عمران العبدوسي والخطيب ابن مرزوق توفي أبو محمد سنة 792هـ في البحر أثناء عودته من مالطا وتوفي أبي يحي في عام 726هـ.(8)

-عبد الرحمن ابن خلدون: هو أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي التونسي الأصل القاهري المالكي ,العالم الفيلسوف ومؤسس علم الاجتماع من مؤلفاته شرح على البردة والمقدمة المشهورة وتوفي سنة 808هـ.(9)

-ابن قنفذ القسنطيني: هو أبو العباس احمد ابن الحسن ابن علي الشهير بابن قنفذ القسنطيني ,باحث في عديد العلوم من مؤلفاته نجد شرح على الرسالة في عدة أسفار وشرح مختصر ابن الحاجب الأصلي توفي سنة 809هـ.

وفاة العلامة الشريف التلمساني: توفي الشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني في سنة 771هـ ولما كانت سنة وفاته وصل في التفسير لقول الله عز وجل:"يستبشرون بنعمة من الله وفضل "(10) حيث انه قد مرض ثمانية عشر يوم وتوفي بعدها في يوم الأحد الرابع من ذي الحجة من عام 771هـ بحضرة علماء وفقهاء من تلامذته وزملائه العلماء.

أثاره: خلف الشيخ الشريف التلمساني مؤلفات عدة منها ما طبع ونشر والبعض الأخر مازال مخطوط أو قيد التحقيق والدراسة ونذكر منها:

المؤلفات المطبوعة :

-مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول(11)

-مثارات الغلط في الأدلة.

-المؤلفات المخطوطة:

-شرح على جمل الخوجي.

-كتاب في القضاء والقدر.

كتاب في المعاوضات أو المعاطاة,

إضافة الى مجموعة من الرسائل وهي تحتوي على أجوبة له لأسئلة وفدت له في موضوعات علمية متنوعة قد استعصى الجواب عنها ونذكر بعضها:

-مسالة ثبوت الشرف من جهة الأم.

-مسالة رجوع المنفق غيما انفق

-مسالة قول الإمام المرجوح
-مسالة الأصل أفراد كل يمين بكفارتها وعدم إشراكها مع غيرها

2-التعريف بالسلطة الزيانية:

عايش الإمام أبو عبد الله التلمساني دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان بمختلف الأحداث والتغيرات التي مرت بها دولة الزيانيين خاصة خلال حروبها وصراعاتها المتكررة سواء مع المرينيين من الجعة الغربية أو مع الحفصيين من الجانب الشرقي.

وعاصر الشيخ الشريف التلمساني من ملوك بني زيان الملك أبو حمو موسى الثاني .

التعريف بالسلطان أبو حمو موسى الثاني:

يعود نسب أبي حمو موسى الثاني لمؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان فهو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحي بن يغمراسن و لم تكن الإمارة في أحد من أسلافه بعد يغمراسن(11).

ولد أبو حمو موسى ببلاد الأندلس في مدينة غرناطة، عاصمة بني الأحمر، سنة (723ه) و في هذه السنة عاد به أبو لتلمسان باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول. نشأ في تلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء فعرف حياة البلاط و ما تستعمل عليه من أبهاه و الترف و الحفلات و درس على يد أشهر العلماء فنال من العلم حظا وافرا مكنه من تحصيل مبادئ اللغة العربية و العلوم الدينية.

وصوله للسلطة:

مرت الدولة الزيانية بمراحل قوة و ضعف و يصنف المؤرخون فترة الحصار على مدينة تلمسان بأقصى و أضعف مراحل الدولة الزيانية حيث دام هذا الحصار قرابة 8 سنوات , حيث قاد أبو الحسن المريني قواته باتجاه تلمسان فحاصرها و دخلها و قتل الملك الزياني و اختفت بهذا الحصار أي لم يعد هناك وجود لدولة بين عبد الواد.

عندما استولى المرينيون على تلمسان في سنة 753ه/1353م الذين قتلوا أبو ثابت ووزيره (12)على يد أبي عنان المريني، أما أبو حمو موسى ثاني فقد نجا من المرينيين وفر إلى تونس أين يوجد الحفصيين حيث استقبله السلطان الحفصي أبي يحي الحفصي ووزيره فراجين استقبال الأمراء (13) و أقام أبو حمو في حضنهما مكرما، مدة خمس سنوات مما سمح له ببناء علاقات طيبة معهم.

استغل أبو حمو موسى الثاني مدة إقامته في المغرب الأدنى في بناء علاقات جيدة مع بعض القبائل (14)كي تأيد في إعادة الحكم الزياني على تلمسان و مساعدتهم له في تحريرها من المرينيين .و عادة أبو حمو موسى الثاني مع السلطان الحفصي أيضا إلى تونس .

قاد أبو حمو موسى الثاني جيشا من الذواودة و بني عامر و زناته و بني زيان متبعا لتحرير تلمسان من المرينيين و إعادة بناء مجد بأنه و أجداده. و بالفعل فقد هزم المرينيين و دخل تلمسان يوم الأربعاء ثان من ربيع الأول 760هـ/1359م(15).

اتسم عهد أبو حمو موسى الثاني بالنشاط العسكري لأكثر من ثلاثين سنة قضاها في بناء الدولة الزيادة و توسيع رقعتها و تمتين اسسهاا، و الحفاظ على وحدة تراب المغرب الأوسط تحت راية السلطة الزيانية.

جوانب شخصية أبو حمو موسى ثاني:

لقد كان السلطان الزياني أبو حمو موسى ثاني مثلا للحاكم العالم فقد كان محبا للعلم و العلماء فشخصيته كانت مزيجا من القوة و الشدة و الخبرة العسكرية و الحنكة السياسية كما كان أيضا عالما و أديبا و شاعرا و متدينا حتى التصوف.

ففي عهد أبي حمو الثاني تمت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف و أقيمت المناظرات بين الشعراء في نظم قصائد في مدح الرسول محمد صلى الله عليه و سلم.

يعتبر السلطان الزياني أبو حمو موسى ثاني شاعرا بكل للكلمة من معنى، فقد ترك عدة قصائد شعرية جمعها مع بعضها الأستاذ عبد الحميد حاجيات في كتابه المعنون بأبو حمو ثاني موسى حياته و آثاره.

و في قصيدة تتكون من 92 بيتا و صف فيها أبو حمو رحلته الملحمة في بلاد المغرب الإسلامي و معاركه لاسترجاع العرش الزياني على المغرب الأوسط.

وخضت الفيافي فدفدا بعد فدفد لنيل العلا و الصبر إذ ذاك لازمي

وكم ليلة بتنا على الجدي طوى نر اقب نجم الصبح في ليل عاتم (16).

لقد خلف أبو حمو موسى ثاني أثارا أدبية تظهر عن ثقافة عربية لايستهان بها وتعطينا فكرة صادقة عن الذوق الأدبي الذي كان سائدا في عهده بالمغرب الأوسط.

و ميل أبي حمو موسى للآداب أمر طبيعي وهذا راجع بدرجة كبيرة أنه عاش مدة طويلة قبل توليه الحكم في بيئة ثقافية في بلاط ببني عبد الواد بتلمسان و ثم في فاس عاصمة المرينيين و أخيرا في بلاط الحفصيين بتونس(17).

وأهم أثر أدبي للسلطان أبو حمو موسى الثاني هو كتاب" واسطة الملوك في سياسة الملوك " (18)، وهذا الكتاب يروي قصة أبي حمو موسى الثاني وصراعه من أجل استعادة الملك كما يتضمن العديد من القيم الأخلاقية التي يتوجب على الحكام التحلي بها، فهو يذكر فيه شروط و صفات الحكم الراشد لاستمرار الحكم الزياني.

كما أن كتاب واسطة الملوك في سياسة الملوك يعتبر وصية أبي حمو موسى الثاني لابنه وأحفاده و ذريته من بعد ليسيروا على نهجه في الحفاظ على استمرار الدولة الزيانية وازدهارها و تطورها.

3-علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الحاكمة:

لقد عاصر الشيخ الشريف التلمساني فترة الحكم المريني لتلمسان التي دامت إلى غاية قيام أبو حمو موسى الثاني بتحريرها و إعادة بعث دولة الزيانيين سنة 760هـ/1359م.

وقبل أن نتطرق لعلاقة أبو عبد الله التلمساني بحكام بني زيان لا باس ان ناخد لمحة عن علاقته بالسلطة السياسية التي حكمت تلمسان مدة من الزمن لاباس بها وهي السلطة المرينية حيث عاصر الشريف التلمساني عهد حكم أبي عنان المريني .

و رغم أن الشيخ الشريف التلمساني كان يبتعد عن السلاطين و الحكام وحتى الوزراء إلا أنه كان على علاقة طيبة مع السلطان المريني أبي عنان الذي كان حكيم تلمسان في عصر الشريف التلمساني وهذا يعود إلى :

- يساعده عن الملوك كان خشية أن يقتنوه في دينه و علمه
- علمه باستقامة -الأمير أبي عنان و إجلاله للعلماء و العلم فقد عرف عن أبي عنان حبه لمجالس العلم و إكرامه للعلماء ودعمه له.

ومن حب الشريف التلمساني لأبي عنان ألف له كتاب مختصر يطلع فيه على المنهج العلمي الصحيح فيجعله بذلك متبعا على بصيرة غير مقلدا بعيدا عن التعصب أو أن الملك خشي أن يعونه نصيب من علم الإمام فطلب منه أن يؤلف كتاب يجمع فيه له من الحقائق و الدقائق نكتا و علما(19).

علاقة الشريف التلمساني بأبي عنان:

يذكر الإمام الشريف التلمساني في مقدمة كتابه مفتاح الوصول إلى بناء فروع على الأصول أنه ألفه ليتقرب به من السلطان المريني أبو عنان فارس المريني مكانة عالية ورجاء أن يقبل مختصره أب المفتاح قبولا حسنا فيقول : "**فأردت أن أضرب بهذا**

المختصر في اكتساب القربة إليه قدحا معلى و سهما و أجمع فيه في بديع الحقائق ورفيع الدقائق نكتا و علما و فضلا –أيده الله- يقضي بحسن القبول ويقتضي لمؤلفه غاية المأمول "(20).

و يعتبر المفتاح من هم مؤلفات الشيخ الشريف التلمساني و يتضمن هذا الكتاب عدة مواضيع فقهية .

و يعتبر كتاب المفتاح الوصول و رغم صغر حجمه إلا أن له القيمة الكبيرة ما لم تتلها كتب اقتضت مادتها العلمية مجلدات و تكمن هذه القيمة في انتشار هو عناية العلماء به نسخا و إقراء و نظما، حيث أنتشر المفتاح في البلاد الإسلامية شرقا و غربا حيث توجد مخطوطات منه في تونس و الجزائر و المغرب وحتى نيجريا.

و لقد أقرأ بهذا الكتاب عدة شيوخ حيث كان يقرب هذا الكتاب محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد و أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار المغرب و حتى الشيخ عبد الحميد بزنادير في وقت ليس ببعيد درستا هذا الكتاب.

علاقة الشريف التلمساني بأبو حمو موسى الثاني الزياني:

بعد أن هزم أبو حمو موسى الثاني أبي عنان و حرر تلمسان من قبضة المرينيين وأعاد بناء دولة أسلافه باسم الدولة الزيانية . وكما عرف أبو حمو بالقوة العسكرية والحنكة السياسية إلا أنه كان من أكثر ملوك بلاد المغرب الإسلامي للعلم و العلماء فقد أولى أهمية كبيرة للعلم و عمل على نشره و بناء المدارس و الكتاتيب و المساجد إيمانا منه بأن العلم هو أساس أي دولة لتصبح قوية و تستمر.

بعدما استقر أبو حمو الثاني بتلمسان استدعى في أول إمارته أبو عبد الله الشريف التلمساني الذي كان آنذاك بفاس بالمغرب الأقصى عند المرينيين و بالفعل فقد سرحه القائم بالأمر يومئذ الوزير عم بن عبد الله. و رحب أبو حمو موسى الثاني بالشريف التلمساني أيمه ترحاب و أكرمه و أنزله منزلة عظيمة عنده.

وكان عند خروج أبي عنان المريني من تلمسان خرج الشريف التلمساني من تلمسان إلى فاس و نظرا للعلاقة الطيبة التي جمعت الشريف التلمساني بأبي عنان المريني فقد ذكرنا سابقا بأنه ألف كتابا له للتقرب منه كما كان الشريف يحضر مجالس العلم عند أبي عنان و كان محل شورى له، حيث كان أبي عنان يستشير الشريف في عدة مسائل في الدين و الدولة.

أبرز دليل على ود أبو حمو موسى بالشريف التلمساني وحبه له أنه بني مدرسة له بجوار قبر والده و سلمه مهمة الإشراف عليها و تسيرها و التعليم فيها و هي المدرسة اليعقوبية.

المدرسة اليعقوبية :

لقد اهتم أبو حمو الثاني بالعلم فقد ازدهرت الحياة التفافية بتلمسان في عهده التي أصبحت من أهم الحوافز الفكرية و الثقافية في العالم الإسلامي يقصدها العلماء حيث قام ببناء المدارس ومنها اليعقوبية.

لقد أختلف في ذكر أسباب بناء أبو حمو موسى الثاني للمدرسة اليعقوبية فيحي ابن خلدون يرجع بنائها لوفاة أبي يعقوب وإقامة مدفنه برياض باب ايلان ثم نقله رفات عميه أبي سعيد و أبي ثابت فكان هذا أهم سبب لإنشائها، فيقول عن هذا:"شرع لحيته في بناء مدرسة وزاوية على قيودهم "

و اعتمد العديد من المؤرخين هذه الرواية لأن يحي ابن خلدون كان مؤرخ البلاط الزياني في عهد أبي حمو موسى الثاني.

و أما ابن خلدون عبد الرحمن فيقول أن سبب إنجاز المدرسة اليعقوبية هو اعتناء أبو حمو موسى الثاني بالفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني فيقول: **"وله بني مدرسته الكريمة الذي كان به حفيا و مكرما "**

و لكن التنسي جمع بين السببين حيث يقول أن المدرسة أنشأها أبو حمو موسى الثاني تكريما لوالده و تكريما للشريف التلمساني .(21)203

بدأت أشغال بناء المدرسة سنة 763ه/1362م و ثم تدشينها في الخامس من شهر صفر سنة 765ه/ 1360م، و سماها أبو حمو موسى الثاني بالمدرسة اليعقوبية تكريما لأبيه أبي يعقوب و هذا ما أكده ألفرد بل حيث قال :"... اليعقوبية لقبا لاسم أبيه رحمه الله هو مؤرخ في الرخامتين في باب المدرسة..."(22)

و تقع المدرسة اليعقوبية في وسط مدينة تلمسان عند باب ايلان بالقرب من مسجد إبراهيم المصمودي(23) فهي تحتل موقعا هاما في المدينة.

أدت المدرسة اليعقوبية دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية و العلمية بتلمسان بدليل احتضانها لحلقات العلم المنتظمة و هذا لكونها تقع بمقربة من الجامع الكبير، حيث شكلت إحدى الحلقات التابعة له.

ولقد اعتنى أبو حمو موسى بهندسة المدرسة حيث يصفها ابن مريم في كتابه البستان: **" و أنشأ مدرسة القرآن و العلوم و أنفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء واسعة الفناء بنية بغروب من الصناعات ووصفت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، و بساط أرضها بالزليج مرسوم، عرس بأزائها سيانا يكتفنها وضع فيها صهريجا مستطيلا و على ظرفيه من الرخام ... فينالها من بنية ما أبهجها " (24).**

و أوكل أبو حمو موسى الثاني إلى أبو عبد الله الشريف التلمساني مهمة الإشراف على المدرسة اليعقوبية و التدريس فيها لما رأى فيه من علم و قدر.

وكان أبو حمو موسى الثاني يحضر دروس الشريف التلمساني في التفسير إلى أن أكمل تفسير القرآن الكريم كله و أنفق على موظفي هذه المدرسة و على طلبتها أمولا طائلة وجعل لهم راتب تيسر لهم طريق العلم و تمنعه من الانشغال بغيره.

وكانت المدرسة اليعقوبية يدرس فيها القرآن الكريم و العلوم و فروعها، و إلى جانب العلوم التقلية، العلوم العقلية التي كان إماما فيها كالمنطق و الحساب و التنجيم والهندسة، الموسيقى، الطب، التشريح، الفلاحة .

أوقافها

وأما عن مصادر تمويل المدرسة فقد كانت لها أوقافها الخاصة بها، فقد شكلت المؤسسات الاقتصادية و الاجتماعية القسم الأكبر من أوقاف المدرسة اليعقوبية والمتمثلة في مجموعة الدكاكين و المخبزة و الفرن، الطاحونة، بالإضافة إلى معصرة الزيتون و ما يتعلق بها

فمعظم هذه المراكز التجارية كانت تتحكم في السوق المحلي الزياني و يمكن اعتبارها الأمان الاقتصادية الأكثر انتشارا أو نشاطا في المدينة.

هذا بالإضافة للبعد الاقتصادي و التجاري للفندقة و الذي يعد موقعه إستراتيجيا داخل الحاضرة وكذا الحمام الذي يتمتع بوظيفة اجتماعية لمكان المدن، فمن الطبيعي أن تكون لهذه الأوقاف قيمة مالية جيدة ومدا خيل معتبرة كونها جميعا مرافق اقتصادية ضرورية بالحاضرة.

ومن البديهي أن تعكس المداخل هذه الأوقاف على الوضع الاجتماعي لطلبة المدرسة والقائمين عليها و هذا ما يبدو واضحا خلال الفترة التي أشرف عليها أبو عبد الله الشريف

التلمساني (765هـ/771هـ)، فرغم كثرة عدد الطلبة، إلا أنهم كانوا يتمتعون بوضع مادي و اجتماعي جيد و اتساع أرزاقهم كان لكثرة مدا خيل أوقافها(25).

و يلاحظ فيما يخص الأوقاف الخاصة بالمدرسة اليعقوبية ***هي جهة الأراضي و التي غالبا ما يكون خارج الحضرة مقارنة بالأوقاف العقارية التي أخذت حيزا كبيرا، و المقصود بالتحسين أن تكون قريبة من المدرسة حتى يتمكن المشرف عليها من تفقدها بشكل مستمر و يسهل عليها مراقبتها و النظر على احتياجاتها(26)

رغم كل إيجابيات التي و لت انجازات للمدرسة اليعقوبية فقد ساهمت في نشر العلم وتخرج منها عدد من العلماء إلا أن مصيرها كان الاندثار فقد دمرت في عهد الأتراك العثمانيين فلم يبقى منها سوى اللوح التأسيسي الذي يحمل تاريخ بناء الذي يعود إلى سنة 763هـ-1361(27)

خاتمة:

ذاع صيت الشيخ الشريف التلمساني وعلمه بين الناس فقد نال ثقتهم وإعجابهم، فقد كثر طلاب علمه من مختلف البلدان الإسلامية العربية وحتى غير العربية وعن علاقته بالحكام والسلاطين فقد تكلم عنها المؤرخين والباحثين كل حسب رأيه , ومن ابرز نموذج لهذه العلاقات تناولنا علاقته بالسلطان أبو حمو موسى الثاني الزياني

رغم أن الشيخ الشريف حظي بسمعة ممتازة ومكانة مرموقة عند مختلف حكام عصره حتى المرينيين منهم ,فقد كان مقربا من العرش دائما ويستشار ويأخذ برأيه ,لكنه لم يسعى يوما للتودد إليهم يوما فقد كان منكبا على علمه بحثا وتدريسا، وان أول ما قام به أبو حمو موسى بعد توليه حكم الدولة الزيانية انه أرسل للشريف التلمساني واستقبله استقبال الملوك وأكرمه أيما كرم.

لم يكتفي أبو حمو موسى بهذا بل ليقربه منه ويضمن بقاءه زوجه ابنته ليجعله من عائلته ويقوي علاقته به ,

عندما مات أبو عبد الله التلمساني كان أبو حمو موسى من أكثر الناس تأثرا بوفاته وحزن حزنا شديدا وأمر بدفنه بجوار قبر والده أبي يعقوب بالمدرسة اليعقوبية.

كما أرسل لأبي محمد ابن الشريف التلمساني وأكرموه كرما كبيرا وجعله خليفة لأبيه على رأس المدرسة اليعقوبية وقال له عن أبيه مقولته الشهيرة :"ما مات من خلفك وإنما مات أبوك لي لأنني أباهي به الملوك".

الهوامش:

(1):التنبكتي:نيل الابتهاج بتطريز الديباج,منشورات كلية الدعوة الإسلامية ,طرابلس,1398ه,ص430.

(2):ابن مريم الملائي:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان,مطبعة الثعالبي,الجزائر,1326ه,ص166.

(3):عبد الرحمن ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا. وزارة الثقافة والإعلام,الجزائر,ص64.

(4):الشريف التلمساني:مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول,تحقيق محمد علي فركوس, دار العواصم ومؤسسة الرسالة,الجزائر,1434ه,ص60.

(5):ابن مريم:مصدر سابق,ص ص 123-126.

(6):التنبكتي: مصدر سابق,ص ص 411-416.

(7):ابن القاضي المكاني:درة الحجال ,ج3,ص133.

(8):التنبكتي:مصدر سابق,ص ص233-253.

(9):ابن مري مصدر سابق:ص ص118-127.

(10):الآية 171 من سورة ال عمران.

(11): اختلف في نسب بني عبد الواد فهناك من يقول إنهم من النسب الشريف للمزيد ينظر الى:عبد الحميد حاجيات:ابو حمو موسى الثاني حياته وأثاره,وزارة الثقافة الجزائر,طبعة خاصة,2011,ص ص 69-72.

(12):يحي ابن خلدون:بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد,ج1,دار الجيل بيروت,ط2 ,1981,ص247.

(13):أرسل أبي عنان المريني عدة مراسلات للسلطان الحفصي طالبا منه طرد أبو حمو موسى الثاني من عندهم لكن لهذا الأخير رفض ذلك ولم يعر لطلب المرينيين أي اعتبار للمزيد ينظر الى: عبد العزيز الفيلالي:تلمسان في العهد الزياني,ج1, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, الجزائر,2002,ص ص 52-53.

(14): من بين هذه القبائل نجد الذواودة في منطقة الجريد ولقد ساعدت هذه القبائل السلطان الحفصي أبي إسحاق على استعادة عرشه والعودة الى تونس من جديد بعد تحريرها من ي المرينيين ينظر:يحي ابن خلدون:مصدر سابق,ج2,ص ص 20-22.

(15):للمزيد حول مسيرة أبو حمو موسى الثاني الى تلمسان يرجع الى:واسطة السلوك في سياسة الملوك. مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم 2306.

(16): عبد الحميد حاجيات :مرجع سابق:ص213.

(17):للمزيد حول حياة أبو حمو موسى الثاني قبل توليه حكم الدولة الزيانية ينظر الى:يحي ابن خلدون: بغية الرواد,ج2,مصدر سابق,ص ص15-24.

(18):طبع كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك في تونس سنة 1279ه .عبد الحميد حاجيات,مرجع سابق,ص186.

(19):جبريل بن المهدي: دراسة تحليلية لتخريج الفروع على الأصول.جامعة ام القرى,السعودية,ص ص 541-542.

(20):الشريف التلمساني :مفتاح الوصول مصدر سابق,ص327.

(21):جمع نص ابنا خلدون يحي وعبد الرحمن للمزيد ينظر الى: ابو عبد الله التنسي: نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان ,ص 177.

(22):يحي ابن خلدون مصدر سابق,ص104.

(23): ابراهيم بن محمد المصمودي من كبار العلماء بتلمسان درس بفاس من شيوخه نجد الأبلي ودرس بالمدرسة اليعقوبية على يد الشريف التلمساني توفي في سنة 803هـ-1303مللمزيد ينظر الى ترجمته عند:ابن صعد التلمساني: النجم الثاقب فبما لأولياء الله من المناقب:ج1و مذكرة لنيل شهادة ماجستير جامعة وهران,ص ص95-96.

(24): ابن مريم مصدر سابق,ص121.والى عبد الحميد حاجيات :مرجع سابق,ص182.

(25):ابن مريم:مصدر سابق,ص170.

(26):شرط المحبس ابو حمو موسى الثاني ان يبقى هذا الوقف ثابتا غير متغير ومتصل ببقاء المدرسة للتعليم للمزيد ينظر الى: يحي ابن خلدون:مصدر سابق,ص136.

(27): قاسمي يحناوي: المدارس بتلمسان في عهد بني زيان, مجلة الفكر الجزائري,عدد4,سنة 2009,ص 83.